الظلم

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسولـه ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون:

عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى أنه قال: (**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلّا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلّا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلّا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم**) إلى آخر الحديث ، والحديث طويل ، رواه مسلم في صحيحة ، والإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في سننه .

يقول الإمام النووي –رحمه الله – إن هذا الحديث تميز به أهل دمشق على غيرهم ، وذلك لأن جميع رواته دمشقيُّون ، ولذلك تميّزوا به ، وقد كان التابعيُّون إذا حدّثوا بهذا الحديث ، جثوا على ركبهم ، لما فيه من

العظة والعبرة والعظمة، وأكبر قضية تناولها هذا الحديث ، قضية الظلم والظالمين، استهلها بقوله : (يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا).

أقسام الظلم :

ولهذا عرَّف العلماء الظلم: على أنه وضع الشيء في غير موضعه ، وذكروا له ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ظلم بين العبد وربه :

بأن يجحد الإنسان ربه الذي خلقه وأعطاه ، ثم رزقه وهداه ، ثم بعد ذلك يشرك معه آلهة أخرى ، كما قال تعالى على لسان لقمان ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان الآية:١٣) ولهذا لمّا نزل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ (الأنعام :٨٢) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ، وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال: ليس الذي تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ فتبين من هذا ، أن الشرك من أشد أنواع الظلم ، بأن تجعل لله نداً وشريكاً ، وهو الذي خلقك وأصبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، ثم تشكر سواه ، ولذلك جاء في الحديث (عجباً لك يا ابن آدم ، ما أنصفتني ، خلقتك وتعبد غيري ، ورزقتك وتشكر سواي ، أتحببُ إليك بالنعم وأنا غني عنك ، وتتبغض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ ، خيري إليك نازل ، وشرّك إليّ صاعد) وهذا هو الحاصل الآن، فكم من الناس اليوم من ينكر نعم الله عليه ، وينسب تلك النعم إلى نفسه الضعيفة الفقيرة ، ويقول : هذا حصلت عليه بخبرتي وذكائي وعبقريتي ،

وهذا أظلم الظالمين ، عندما يَنْسُبُ تلك النعم إلى نفسه الظلومة الجحودة، بينما ربنا -سبحانه وتعالى- لا يريد أن يظلم أحدًا من عباده ، رغم قدرته عليهم، كما قال تعالى في آيات كثيرة : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت :٤٦) ،﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف :٤٩) ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(آل عمران : ١٠٨).

ثانياً : القسم الثاني : ظلم الإنسان لنفسه:

بأن يرتكب في حقها ما تنوؤُ بحمله الجبال ، كما قال تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر :٣٢) ولذلك لمّا عبد بنو إسرائيل العجل ، سمى الله عز وجل ذلك الشرك ظلماً لأنفسهم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾(البقرة:٥٤) ولهذا اعترفت بلقيس ، بأنها ظلمت نفسها وأنها عبدت الشمس من دون الله ، فقالت: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النمل :٤٤) وليس هذا فحسب ، بل الإنسان الذي يرتكب المحرمات بأنواعها ، يُعتبر ظالم لنفسه ، والذي يأكل الربا ويشرب الخمر فهو ظالم لنفسه ، وكذلك الراشي والمرتشي والسارق والزاني ، والذي يأكل أموال الناس بالباطل ، فهو ظالم لنفسه ، لأنه لم يقِ نفسه من النار ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (آل عمران :١١٧) .

القسم الثالث :ظلم الناس بعضهم لبعض:

استناداً للحديث السابق (وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) وهذا النوع من أنواع الظلم سائد ومنتشر بين الناس، فلا تجد موضع قُدم على

هذه البسيطة إلّا وفيه مظلوم يتأوه ، ظلم يمارسه أصحاب الوجاهات والمحسوبيّات على عامة الناس ، وظلم في الهيئات والإدارات ، يمارسه أولئك المتنفذين على هذه المؤسسات ، وظلم في الأسواق يمارسه التُجارُ على المشترين الكادحين والفقراء المسحوقين ، بل هناك ظلم بين الجيران وعلى مستوى الحارات ، والعجيب من ذلك أن يتغلغل هذا الظلم ، إلى داخل الأسر والبيوتات ، أخٌ يظلم أخاه ، وأب يظلم أبنائه ، وزوج يظلم زوجته ، وهكذا دواليك ، بينما رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول: **(المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه)**.

آثار الظلم:

وعليه يجب أن تعلموا - أيها المسلمون- : أن الله سبحانه وتعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود:١٠٢) .

ولاشك أن أبرز العقوبات التي تنال الظالم في الدنيا:

١-أن يسلط الله عليه ظالم مثله: فيأخذ حقه ، ويهتك عرضه ، ويسلب نعمته ، ويفعلُ به كما فعل بالآخرين ، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الأنعام :١٢٩) فهذا أبو مسلم الخراساني، كان ظالماً سفاحاً، يسفك الدماء من أجل أن يوطّد الحكم لبني العباس ، ولقد نال عربُ خراسان من بلاءه وشره وظلمه الكثير والكثير، وقَتَلَ منهم الآلاف، إرضاءً وتثبيتاً وتقرُّباً لأسياده بني العباس ، ولكن الله عز وجل بسبب ظلمه سلّط عليه ذلك السيف الذي كان يخدمه ،

وذلك الأمير الذي كان يعمل لصالحه ، فأخذه أبو جعفر المنصور ، خليفة المسلمين آنذاك ، وأدخله إلى قصره ، وأمر جنوده بقتله ، فَتَنَاوَفَتْهُ السيوف، وهو يقول: العفو يا أمير المؤمنين ، العفو يا أمير المؤمنين ، فقال له: العفو يا ابن الفاعلة ، اقتلوه ومزقوه ، قطعة ، قطعة ، إنه ظالم ابتلاه الله بظالم مثله، وعليه فإن كل ظالم لا بد أن يسلّط الله عليه ظالماً مثله ، فيأخذ حقه كما أخذ حقوق الناس ، ويهتك عرضه كما هتك أعراض الناس ، ويسفك دمه كما سفك دماء الناس ، حتى لو كان ذلك في أولاده من بعده ، فقد ينالهم أذيّ كثير ، بعد وفاته ، والله المستعان ، وتشمل هذه العقوبة جميع الناس ، الذين يسعدون بالظلم والظالمين ، فإن الله -عز وجل- يسلّط عليهم حاكماً ظالماً يستبدّ بهم .

يُذكر أن عجوزاً أرادت أن تنصح الحجاج في ظلمه ، فذهبت إليه وقالت له: لَمَهْ ، فردّ عليها: كَمَهْ ، ولّما رجعت إلى قومها قالوا لها: ما صنعت شيئاً ، فقالَت: كلا ، بل سألته وأجابني ، فقلت له: لما تظلمنا ، فقال: كما تكونوا يولّى عليكم ، أي أنكم يا أهل العراق بأعمالكم هذه ، تستحقون أن يتولى عليكم أظلم الظالمين ، ألا وهو الحجاج .

إذًا أيها الناس ، أيها الشعوب الظالمة ، لا تسألوا عن الظلم الذي يُمارس عليكم ، من قبل حكّامكم المتسلطين عليكم، وعلى رقابكم ، ولكن قبل ذلك يجب أن تسألوا أنفسكم، وأن تنظروا في أعمالكم السوداء ، التي كانت سبباً في تسلط الظالمين عليكم ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران :١٦٥).

كذلك يجب أن تعلموا أن الظلم :

٢-سبب في هلاك الأمم والشعوب وخراب الديار ، كما قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (يونس :١٣) وفي آية أخرى ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ (النمل:٥٢) أيُّ ذنب ، هذا الذي يحصل بسببه هلاك الأمم وخراب الديار ، إنه ذنب عظيم ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ -عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود :١٠٢)الله -عز وجل-قد ينزل عذابه على الأمة جمعاء، بسبب ظلم الظالمين ، لما ثبت عند أحمد أن الرسول ﷺ قال : (إذا ظهرت المعاصي في أمّتي ، عمّهم الله عز وجل بعذاب من عنده ، فقيل: يا رسول الله ، أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى ، ولكن يصيبهم ما أصاب الناس) وفي رواية أخرى (ولكن يبعثون على نيّاتهم) .

إذًا لا نستغرب أن يكون الظالمون والفاسدون والفاسقون سبب في هلاك الأمم والشعوب ، لما رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارُها أبرارَها ، وساد القبيلة منافقوها ، وقد حدث أن تزلزلت الأرض على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: (أيها الناس، ما هذا؟ وما أسرع ما أحدثتم ، فوالذي نفسي بيده ، لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً) الله أكبر، حتى الأرض تحزن وتشتكي من الظالمين والمجرمين الذين يعيشون عليها ، وتأبى أن تحملهم بين جنباتها ، حقاً إنها لحياة تعيسة لأولئك الظالمين والمجرمين، أن يشقى بهم العباد والبلاد ، والأرض والشجر والدواب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(النحل : ٣٣).

دعوة المظلوم :

فحذاري أيها الناس: إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا

دعوة المظلوم ، فإن سهام الليل لا تخطئ أبداً ، قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ∴ فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيناك والمظلوم منتبهٌ ∴ يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولذلك جاء في الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، قال:(**ثلاثة لا تردّ دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول لها: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**) رواه الترمذي وصححه الألباني ، والظلم حرام ليس على المسلمين فحسب ، بل حتى على الفجار والكفار ، كما جاء في مسند الإمام أحمد ، أن النبي ﷺ قال:(**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه**) وقد يعجل الله العقوبة للظالم في الدنيا ، تلبية لدعوة المظلوم ، فقد استجاب الله دعوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، كما جاء في السير، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أرسل رسولاً إلى الكوفة ، يسأل عن واليه سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ، فأثنى الناس عليه خيراً ، إلّا رجلاً منهم، قَدَحَ في سعد وتكلم عليه ظلماً وزوراً، وقال: أما وقد سألتموني عن سعد ، فإنه لا يحكم بالسوية ، ولا يعدل بين الرعية، ولا يسمع للقضية ، فدعا عليه سعد رضي الله عنه وقال: اللهم إن قام هذا عبدك رياءً وسمعة ، فأعم بصره ، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فطال عمر هذا الرجل حتى سقط حاجباه على عينيه ، وكان يتعرض للجواري ويغمزهن في شوارع الكوفة ، ويقول: شيخ مفتون ، أصابتني دعوة سعد، وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، أن أروى بنت عميس ، خاصمته وادّعت عليه أنه أخذ شيئاً من أرضها ، فقال: ما كنت لآخذ شيئاً من أرضها ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه ، طوقه الله بسبع أرضين**) ثم دعا على تلك المرأة وهو يشعر

بمرارة الظلم عليه ، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واجعل قبرها في دارها ، فقيل أنها أصبحت عمياء ، تتلمس الجُدُرْ ، وكانت تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد ، وبينما هي تمشي يوماً في دارها وقعت في بئر فماتت، هكذا مصير الظالمين دوماً وأبداً ، يتعرضون للانتقام ، لأن الله -عز وجل- يدافع عن أوليائه المظلومين، كما قال ﷺ في الحديث القدسي : **(من عادى لي ولياً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدي بشئ أحب مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه)**.

إنصاف المظلومين:

إذًا فالله سبحانه وتعالى ولي المتقين ، أمّا أولئك الظالمين والمجرمين ، فإنهم سيعرضون على الله ويحاسبون عن كل ما فعلوه وارتكبوه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(إبراهيم :٤٢) وجاء في الأثر: أن الله عز وجل إذا جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، وتجردوا للحساب حُفاة عُراة غرلا، تجلى الله -سبحانه وتعالى- على عرشه ، يحمله ثمانية ، فنادى بصوت يسمعه القريب والبعيد ، ويقول: أنا الملك أين الملوك؟ أنا الملك أين الملوك؟ أنا الملك أين الملوك؟ ثم يقول: لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل، فيجيب نفسه بنفسه ، ويقول: لله الواحد القهار ، ثم يقول: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فعزتي وجلالي لا تنصرفون اليوم ولأحد عند أحد مظلمة ، فتنصب الموازين ، وترفع الصحف ، وتحضر

الملائكة ، ويأتي الظلمة ، يعض كل واحد على يده حتى يأكلها ، فيقتص كل مظلوم ممّن ظلمه بحُكْمِهِ العدل ، وميزانه القسط ، حتى يؤتى بالبهائم والعجماوات ، فتحشرَ كالجبال ، ثم يقتص الله لها من بعضها ، فإذا انتهى من الحكم بينها تبارك وتعالى ، قال لها: كوني تراباً ، فتكون تراباً ، فيقول الكفار عندها: يا ليتني كنت تراباً) .

إذًا لا يحسبنّ الظالم أنه سينجوُ من عذاب الله ، مهما طال عمره وتأخر حسابه ، فعند الله تجتمع الخصوم ، ولا يحسبنّ المظلوم كذلك ، أن حقه في ضياع ، وأنه ذهب أدراج الرياح ، كلا ورب الكعبة ، بل هناك يوم لا ريب فيه ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الزمر :٧٠) وإن من عدل الله في ذلك اليوم ، أن يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأن يعيد الحقوق إلى أهلها ،قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾(الزمر:٦٩) في ذلك الموقف العصيب ، أول المظالم التي يُفْصَلُ فيها بأحكام إلاهية سماوية، تكون في الدماء التي أسيلت والأنفس التي أزهقت ، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: (يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ، وناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تشخب دماً ، وهو يقول: يا رب ، سل هذا فيما قتلني؟ حتى يدنيه الرب عزوجل من العرش) كذلك الإنسان الذي ضُرب أو لُطم بغير حق ، يأخذ حقه يوم القيامة ، لحديث عمّار عند الطبراني وغيره ، قال: قال رسول الله ﷺ (من ضَرَبَ مملوكه ظالماً ، أُقيد منه يوم القيامة) حتى الحيوان المظلوم لا بد أن يأخذ حقه في ذلك اليوم العصيب ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال: (لتؤدنّ الحقوق لأهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) وفي المسند كذلك (أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنطحان، فقال يا أبى ذر : هل تدري فيما تنطحان؟ قال أبا ذر : لا يا رسول الله ، قال: ولكن الله يدري وسيقضي بينهما) أورده الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن ظلم الإنسان والحيوان على حد سواء ، إذاً فلا يستهين الإنسان بالحيوان ويظلمه ، لأنه بهيمة لا تعقل ، فقد كان النبي ﷺ يحمي حقوق الإنسان والحيوان ، كما جاء في الحديث الصحيح، (أن جملاً لأحد الأنصار رأى رسول الله ﷺ فدمعت عيناه ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: من صاحب هذا الجمل؟ ، فقال: أحد الأنصار ، أنا يا رسول الله ، فقال: إنه يشتكي إلىّ ، أنك تظلمه وتشق عليه) فحسبنا إذًا أيها الأخوة ، أن نعلم أن القاضي والحكم في ذلك اليوم ، هو الله رب العالمين، الذي لا يظلم عنده أحد ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة :٢٨١) وفي آية أخرى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾(النساء :٤٠) إذًا: فنصيحتي لكل الظالمين ، أن يعيدوا الحقوق إلى أهلها، لأن اليوم عمل ولا حساب، وغد حساب ولا عمل،ولذلك يقول-عليه الصلاة والسلام -: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شئ فليتحلل منه اليوم ، قبل ألّا يكون دينار ولا درهم) فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: يجب أن تعلموا أن حياة الظلم التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم واقع مرير، يعيشون آثاره ويكابدون مرارته في عالم لا يرحم المظلومين، ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- في الحديث القدسي: (**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**) ولهذا كان الوعيد شديد، واللعنة أكيد، كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (غافر:٥٢) سوء المرجع، وسوء المصير، وفي يوم القيامة يأتي الظالم نادماً متحسّراً، يأكل يده أكلاً، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الفرقان :٢٧) وبهذه العاقبة السيئة، توعد الله بها الظالمين، حيث قال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف :٢٩) إن الظالم يخسر في الدنيا، ويأتي في الآخرة مفلساً، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: بل المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة: بصيام، وصلاة، وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، أخذ من سيآتهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**).

إذا أيها المسلمون:

إن ظلم الناس، وأكل حقوق الناس، وانتهاك أعراض الناس، لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الزكاة، لأن فيها حق ثابت متعلق بالآدميين، ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (**من كانت عنده مظلمة**

لأخيه ، من عرض أو من شئ ، فليتحلل منه اليوم ، قبل ألاّ يكون دينار ولا درهم) حتى ذلك الجزء اليسير الذي يستهين به كثير من الناس ، فقد حذّر منه النبي ﷺ بقوله : (من أخذ بيمينه حق امرئ مسلم ، فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟، قال: وإن كان قضيباً من أراك).

مصارع الظالمين :

انظروا أيها الإخوة ، وإن كان قضيباً من أراك ، يُدخل صاحبه تحت مسمى الظالمين ، ويحرمه من دخول الجنة ، فما بالكم بمن يأخذ الأشياء الثمينة التي يملكها الناس، أو ينتهك أعراضهم، أو يسفك دمائهم، ماذا نسميه؟ظالمًا وسفاحًا من الدرجة الأولى، ويستحق أن نضع اسمه مع أولئك الظالمين والمجرمين الذين ذكروا في القرآن الكريم،منهم إبليس اللعين ، وفرعون اللئيم ، الذي نادى بأنه رب العالمين، وهو أظلم الظالمين، وأكذب الكاذبين ، ولذلك فقد أخذه الله أخذ القادرين ، فأصبح عبرة للمعتبرين ، وذكرى للذاكرين ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(القصص :٤٠) .

يقول سيد قطب -رحمه الله-: لقد سقط من فرعون الباغي العادي المتجبر، كل أرديته التي كانت تنفخ فيه ، وضاعت عزة فرعون واقتداره على البغي والظلم والعدوان ، فكان جزاؤه جزاء الظالمين ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (القصص :٤٢) ويقول الله له: يا ظالم : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ

عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾(يونس :٩٢) كذلك النمرود ، واحد من هؤلاء الظالمين ، ادّعى أنه يحي ويميت ، وأنه رب العالمين ، لكن إبراهيم عليه السلام ، فضحه بين الناس أجمعين، وأقام عليه الحجة بالدليل والبرهان ، كما جاء في الآية الكريمة ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) فأنكر ذلك الوغد الاعتراف والإقرار ، وركب عقله الهوى والاستكبار، وقال :﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ فتحداه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) إعجاز ما بعده إعجاز: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾(الأنعام :٨٣) وأنّى له أن يفعل ذلك ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾(البقرة :٢٥٨)أصيب بذهول واستغراب، ولم يستطعْ أن يرد لخصمه ، أو يدافع عن نفسه ، فألقمه إبراهيم عليه السلام الحجر ، لكنه مع ذلك أدبر واستكبر ، فحلّ به ما نزل للظالمين في سقر ، أرسل الله عليه جنوداً من عنده ، وفتح عليه وعلى قومه الظالمين باباً من البعوض ، فأكلت لحومهم وشربت من دمائهم ، ثم بعث الله عليه بعوضةً واحدة ، فدخلت في منخره ومكثت فيه أربعمائة سنة، وهو يضرب رأسه بالمطارق والحديد ، حتى أهلكه الله ، وأصبح عبرة للمعتبرين ، وذكرى لذاكرين ، كذلك يَروى لنا التاريخ المعاصر، قصة أحد الظالمين في هذا الزمان ، ألا وهو مصطفى كمال أتاتورك ، الذي ظلم الأمة بأسرها ، وكان سبباً في زوال الخلافة من المسلمين ، وهو الذي أجبر الأتراك على ارتداء القبعة الغربية، وألغى الوزارات الشرعية، وأراد أن يحول لغة الصلاة إلى اللغة التركية الفارسية ، أمّا فحشه وبذاءته ، فقد كان رجلاً سكّيراً عربيداً ، يشرب الخمر إلى الثمالة ، وكان يستعمل وزير خارجيته آنذاك، توفيق رشدي ،

سمساراً لشهواته وغرائزه البهيمية، وفي يوم الخميس العاشر من أكتوبر، يرحل ذلك المجرم إلى مزبلة التاريخ ، وقد شهد الناس بظلمه وفساده ، ومن عقوبة الله له ، أن إبتلاه في قصره بحشرات صغيرة حمراء، لا ترى بالعين المجردة ، فكان يحكّ حكاً شديداً ، حتى أمام زواره، وقد ظهرت تلك العلامات في وجهه ، ممّا جعله يستدعي مستشارين ومتخصصين من وزارة الصحة ، لمكافحة الإرهاب الذي يقوم به النمل والبعوض في قصره ، وما كان يعلم ذلك المغفل أن هذا حرب من الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾(المدثر :٣١) ثم أصيب أيضاً بمرض الكبد ، الذي سبّب له الاستسقاء بصورة دائمة، فاحتاج الأطباء أن يسحبوا المياه الزائدة في بطنه ، وما ذلك إلّا جزاءً لأعماله وأفعاله الظالمة التي ظلم بها الأمة ، وأخيراً بعد وفاته ، دار خلاف حول الصلاة عليه ، هل يصلى عليه كما يصلى على المسلمين ، أم غير ذلك ، والله المستعان.

واجب الأمة نحو الظلم والظالمين:

إذا أيها المسلمون: إن الظالمين في هذه الأمة ، قد سادوا وعربدوا ، وعليه نسأل: كيف تتقي الأمة الظلم والظالمين؟ كيف يمكن للأمة أن تأخذ على يدي الظالم؟ ولهذا السبب يجب أولاً على الأمة:

١-أن تنكر على الظالم ، وأن تاخذ على يديه ، مهما كانت سطوته وقوته وبطشه

أمّا إن تركت الظالم يتمادى في ظلمه وبغيه على الناس ، أو يفعل ما يريد ، فإنها واقعة حتماً ، تحت لعنة الرسول ﷺ كما جاء في الحديث (والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدي الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم) وذلك لأن ترك

الظالم يفعل ما يشاء، ترك لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بين ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيها الناس، إنكم تقرؤن هذه الآية وتنزلونها غير منزلها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ (المائدة: ١٠٥) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الناس إذا رأو ظالماً فلم يأخذوا على يديه، أوشك الله تعالى أن يعمهم بعقاب من عنده**) رواه أبو داود في سُننه.

كذلك يجب على الأمة:

٢ - **أن لا تستكين للظالم، وتربيهُ من نفسها قوة وإباء:** فالأمة بعقيدتها ومبدئها تستطيع أن تقهر كل الظالمين والمعتدين عليها وعلى أفرادها، ولهذا وصف الله -عز وجل- عباده المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الشورى:٣٩)، أي لا يتركون حقوقهم لظلم الظالمين، أو عبث العابثين، بل يأخذون حقوقهم وهم أعزاء، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمران ١٣٩)، فالمؤمن دائماً يأبى الضيم على نفسه وعلى أمته، ولا يرضى أن يُذل أو يُهان، فهذا الشاعر الجاهلي عنترة الذي كان يفتخر برجولته وشجاعته، ويقول لمعشوقته:

أَثْنِي عليَّ بما علمت فإني ∴ سمحٌ العشيرة إذا لم أظلمِ
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسلٌ ∴ مرّ مذاقته كطعم العلقمِ

يقول: إني رجل طيب ولطيف، أحمل صفات عالية، ولكني إذا ظُلمت ألقى غيري بما لم يكن يعلم، وما لم يكن في حسبانه، وهكذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- منَ أفكه الناس وأطيبهم، وأحسنهم أخلاقاً، فإذا

بُغيَ عليهم ، أثبتوا رجولتهم في الميدان ، وكأنهم الأسود تزئر .

كذلك يجب على المسلمين:

٣ - ألاّ يركنوا إلى الظالمين ، وألاّ يقفوا معهم وفي صفهم: امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾(هود :١١٣) ، وجاء في مسند الإمام أحمد -رحمه الله- أن النبي ﷺ قال: (ستكون أمراء في أمتي ، من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم ، أو صدّقهم بكذبهم ، فليس مني ولست منه ، ولن يرد عليّ الحوض) فمن يجالس الظالمين ، أو يأكل من مأكلهم ، أو يشرب من مشاربهم ، أو يقبل من أموالهم التي أخذوها من حرام ، أو يداهنهم فيما عندهم من المنكرات ، فهذا لا شك أنه يُحشر معهم وفي زمرتهم ، ويحل به ما حل بهم ، وإذا كان هذا حال من يساعد الظالمين ، أو يقف معهم ، فما بالكم بحال الظالمين أنفسهم ، الذين يسفكون دماء الناس ، ويأكلون أموالهم بالباطل ، وينشرون الفساد في الأرض ، فهؤلاء قد توعدهم الله -عز وجل- بعذاب أليم ، حيث قال تعالى :﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾(البقرة :١٦٥-١٦٦).

كل يتبرأ من صاحبه في ذلك اليوم ، الظالم يقول: يا رب ، أنا ما أمرتهم أن يظلموا أحداً ، وما أمرتهم أن يقفوا حرساً على بابي ، بل كنت جالساً في بيتي ، وهم يأتون إليّ مسرعين فرحين مستبشرين ، أما أولئك المجرمين الذين ركنوا إلى الظالمين ، والذين كانوا يجلسون على أبوابهم ، ويأتمرون بأمرهم ، فإنهم يقولون: يا رب ، نحن كنّا أعواناً لهم ، وخدماً لهم ، فلا نفعل شيئاً إلّا بأمرهم ، فإذا قَتلُوا قَتَلْنَا معهم ، وإذا سَرقوا نَسْرقُ معهم،

وإذا سكروا نسكر معهم ، فيقول الله عنهم : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

(الأنعام : ٩٤).

كذلك يجب على الأمة:

٤ - **أن تنصر المظلوم:** وأن تقف معه وفي صفه ، وألاّ تتخلى عنه ، أو تتركه لوحده يواجه مصيره المحتوم ، مع أولئك الظالمين والمجرمين ، كلا ، إن الأمة بأجمعها ، تأثم إذا تركت الظالم يفعل ما يشاء ، ويقتل من يشاء ، ويسرق من يشاء ، ويضرب من يشاء، وليس للمسلمين أن يسكتوا أو يقفوا متفرجين ، عن تلك المظالم التي يمارسها فراعنة هذا العصر ، بل يجب الوقوف لهم بالمرصاد ، والضرب على أيديهم من حديد ، ورحم الله خليفة المسلمين أبا بكر الصديق ﷺ، عندما حدَّدَ العلاقة التي يجب أن تكون بين الظالم والمظلوم في خطبته الشهيرة، التي يقول فيها: (اعلموا أيها الناس، ألا إن الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، وإن القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه) بعد هذا أيها المسلمون: لا يسعكم السكوت عن الآهآت والزفرات التي تخرج حريًّ من صدور إخوانكم المستضعفين ،الذي تعرضوا النزوات الظالمين وغرائزهم البهيميّة، بل يجب أن تقفوا مع المظلوم كونه مظلوم ، وأن تقفوا مع الظالم كونه ظالم ، لأن الرسول ﷺ يقول : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل: يا رسول الله ، أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره إن كان ظالماً؟ فقال: تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصرٌ له) أي لا تتركه يمارس الظلم على غيره ، إن استطعت إلى ذلك

سبيلاً ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

قصص الظالمين المعاصرة :

ولهذا يجب على إخواننا الرحماء أن يقفوا دائماً مع إخوانهم الفقراء والمستضعفين ، أما أولئك الظالمين والمجرمين ، الذين سجلهم التاريخ في مزبلته ، كفرعون وهامان وقارون ، وأبو جهل وأمية بن خلف ، فقد رأينا وسمعنا ماذا فُعِلَ بهم ، ونتيجة لذلك يجب أن نأخذ الدروس والعبر ، فنقف مع جزء يسير من قصص الظالمين في هذا الزمان ، التي ذكرها بعض الكتاب المعاصرين : **القصة الأولى:** كان رجلٌ يعمل صياداً ، فاصطاد يوماً سمكة كبيرة ، فجاء إليه أحد الظالمين ، وأراد أن يأخذ تلك السمكة التي اصطادها من كسب يده ، فأبى ذلك المسكين أن يعطيه السمكة ، لكنه أخذها منه بالقوة والجبروت ، وضربه كذلك ، ولما أخذها وعاد بها إلى منزله ، عضّته تلك السمكة في يده عضّةً شديدة ، وما هي إلّا أيام أو ساعات ، حتى تورمت يده ، ممّا جعله يذهب إلى الأطباء ، فنصحه الأطباء أن يقطع كفه ، لأنها أصيبت بالآكلة ، ولما قطع كفّه الأطباء ، انتقل الألم إلى كامل يده ، فنصحوه أن يقطعها من المرفق ، ثم من الكتف ، ثم بعد ذلك نصحه أحد الناس الطيبين ، بعد أن علم بقصته مع السمكة ، وكيف أخذها ظلماً وزوراً من صاحبها المسكين ، نصحه أن يذهب إليه ويتسامح منه ، أو يرضيه ، لعلّ الله أن يخفف عنه ما هو فيه ، ولم يزل يطلبه في البلد حتى وجده في قرية نائية ، فذهب إليه ، وما إن رآه حتى جعل يقبل رجليه وهو يبكي ويقول: يا أخي ، سألتك بالله إلّا عفوت عني ، فقال له: ومن أنت؟ قال: أنا الذي أخذت منك السمكة في يوم كذا وكذا ، وهذا حالي الآن كما ترى ، ثم قال له: أسألك بالله ، هل دعوت عليّ لمّا أخذتها منك؟

قال: نعم ، قلت: اللهم إن هذا عبدك تقوى عليّ ، وأنا إنسان ضعيف ، اللهم أرني قدرتك فيه) عند ذلك سامحه ، وقال: أحللتك إياها ، فتوقف ذلك المرض عند كتفه ولم يسري إلى جسده ، هذه سمكة فعلت بصاحبها الظالم ما فعلت ، فما بالكم بمن يغتصب ترابًا أمثال الجبال ، أو يغتصب دجاجة ، أو سيارة ، أو عمارة ، وما أكثرها اليوم في حياة المسلمين ، ولو نظرت لرأيت أكثر الناس ظالمين أو سارقين أو مغتصبين ، ولهذا فالظلم مرتعه وخيم ، وعاقبته سيئة ، وهو منبع الشرور والأثام ، وما هذا الغلاء والبلاء والوباء والاحتكار ، إلّا بسبب ظلم الظالمين ، وفساد الفاسدين .

قصة أخرى مع الظالمين ، يرويها لنا أحد المشهورين في دفن الموتى ، وهو الشيخ القحطاني ، يقول: كنت يوماً في المقبرة ، إذ دخلت علينا جنازة يتبعها خمسون رجلاً ، فطلبوا مني أن أساعدهم في دفنها ، ولما نزلت إلى القبر ودلّيته إليّ ، كان ثقيلاً ، فوضعت رأسه نحو القبلة ، ثم أخذت لبنة ووضعتها تحت رأسه ، نظرت إليه ، فإذا هو قد تحوّل برأسه عياذاً بالله عن القبلة ، فأعدت رأسه مرة أخرى إلى القبلة ، ثم أخذت اللبنة الثانية، فإذا بي أرى عيناه مفتوحتان ، وأرى أنفه وفمه يصبان دماً أحمر ، عند ذلك انتابني خوف شديد ، حتى أنّي لم أستطع أن أقف على رجليّ من شدة الخوف والفزع ، ثم أخذت اللبنة الأخيرة ، فوجدت أن رأسه تحوّل للمرة الثالثة ، فخرجت من القبر فزعاً وهربت منه ، فقام أولئك الحاضرين معي، يحثون عليه التراب حثياً دون تلحيد ، ثم صرت أرى هذا الرجل في منامي سبع مرات في كل ليلة ، ولم يذهب عنّي ما أنا فيه ، إلّا عندما ما ذهبت إلى مكة وأدّيت العمرة ، وبقيت هناك أياماً حتى سكن قلبي ، ولهذا السبب أيها الإخوة : ندعو كل الظالمين ، أن يراجعوا حساباتهم مع الله ومع الناس ،

وأن يستعينوا بقوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وأن يعلقوا آمالهم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:١٣٥) .

نموذج مقدمة :

أيها المسلمون: إن الظلم أنواع وأشكال ، ويأخذ مسارات مختلفة ، وهناك من الناس من بلغ درجة عالية في ظلم الآخرين ، والتفنن في إيذائهم وتعذيبهم ، بل هناك من الظالمين من أصبح يمارس الظلم كهواية أو وظيفة ، حتى وصل بعضهم إلى درجة الاحتراف في هذا السبيل ، وعليه يمكن أن نقول: أن أولئك الظالمين يتشكلون حسب أهوائهم ومصالحهم، ويتسترون تحت أقنعة زائفة ، وشعارات كاذبة ، يظلمون الناس باسم الأدب والواجب والحرية ، ولهم في ذلك أساليب مختلفة ، وصور متعددة.

أنواع الظلم :

وشرّ هذه الأنواع ، وهذه الصور :

١ ـ ظلم الحكام لشعوبها ورعيتها: وهذا سائد ومنتشر في بلاد المسلمين ، الشعوب الآن تئن وترزح تحت ظلم حكامها ، يمارسون عليها أبشع الجرائم والاضطهاد ، ويسلبون كرامتها ، وينهبون ثرواتها ، تحت حجج واهية أوهى من بيوت العنكبوت ، بينما خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اشتهر بعدله ، وكان يسمى العادل ، لكنه مع ذلك ، كان يخشى أن يظلم أحداً من رعيته ، فيقول: لو أن بغلة في العراق تعثّرت لخشيت الله أن يسألني: لِمَ لَمْ تسوي لها الطريق يا عمر ، وخرج ليلة من الليالي في

آخر الليل يتفقد أحوال رعيته ، هل هناك جائع؟ هل هناك مريض؟ هل هناك مظلوم؟ وإذ به يرى من مكان بعيد ، ضوء أو نار ، يرتفعُ لهبُهَا في السماء ، فيقترب من ذلك ، فإذا به يجد امرأة مسكينة ، عندها أطفال صغار يتضاغون من الجوع ، وهي تضع لهم أحجاراً على تلكم النار، فإذا سمعوا طنينها وصريرها ، يظنون ذلك طعاماً ، فيسكتون وينامون ، ولما اقترب منها عمر ، قال لها: وما الذي جاء بك في هذه الساعة، وفي هذا المكان الوحيد؟ قالت: ما ترى من شدة حالنا ، قال لها: وأين الخليفة عمر من حالكم؟ قالت: قاتل الله عمر ، تولّى أمرنا واحتجب عن خلّتنا ، عند ذلك ارتعدت فرائص عمر رضي الله عنه ، وقال لها: يرحمك الله ، وما يدري عمر عن حاجتكم؟ فقالت: كيف يتولى أمرنا ولا يعلم عن حالنا، فبكى عمر رضي الله عنه عند ذلك بكاءً شديداً ، وعلم أنه سيحاسب عن أمة محمد ﷺ، وأن هؤلاء جميعاً سوف يتعلقون برقبته يوم القيامة ، فذهب مسرعاً إلى بيت مال المسلمين ، وأخذ كيساً من الدقيق ، ثم وضعه على عاتقه ، فأراد خادمه ميسرة أن يحمله عنه ، فقال: عنك يا أمير المؤمنين، فقال عمر : إليك عنّي، فإنك لن تحمله عنّي يوم القيامة ، ثم ذهب به إلى تلك المرأة، وأصلح لها الطعام ولأولادها ، ولم يذهب من عندهما إلّا وقد شبعوا جميعاً ، عند ذلك أرادت المرأة أن تشكر هذا الرجل الذي قدم لها معروفاً ، فقالت له: إذًا أنت خيرٌ من عمر ، وهي لا تعلم أنه عمر ، فقال لها: قولي خيراً يا امرأة، يغفر الله لعمر ، يكفيه ما حلّ به ، ثم انصرف من عندها وهو يخشى أن تقدم شكواها إلى الله ، فيسأله عنها: لماذا في رعيتك امرأة جائعة يا عمر، لماذا في رعيتك أطفال صغار يتضاغون من الجوع ، أما اليوم ، فشعوبٌ بأكملها تُبَادُ وتموت من الجوع ، لماذا؟ لأنها شعوب فقيرة، أفقرها وظلمها

حكّامها والمتنفذين عليها ، فأخذوا حقوقها ، وسلبوا كرامتها ، يفعل الحاكم المسلم في رعيّته ما يريد ، يقتل من يريد ، ويحبس من يريد ، وينهب من يريد ، ولا أحد يستطيع أن يسأل أو يجيب ، لكن أحد الصحابة يقول لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو من على المنبر : لا سمع لك ولا طاعة ، حتى تبين لنا من أين لك القطيفة الزائدة ، التي تفضّلت بها علينا .

ويأتي رسول كسرى وقيصر إلى المدينة يسأل عنه ، فيقولون له: خَرَجَ إلى شعابها ، فيخرج إليه ، فإذا هو نائم تحت شجرة ، يلتحف السماء ويفترش الأرض ، فيعجب ذلك الرسول لمَا رأى ، ويسأل نفسه: أَيُعْقَلُ أن يكون هذا عمر ، خليفة المسلمين ، أَيُعْقَلُ أن يكون هذا عمر ، الذي بلغ اسمه الآفاق ، ويهتزُّ لذكره كسرى وقيصر ، ثم ينام تحت شجرة بلا فراش ولا وسادة ، ولا خدم ولا حشم ولا حراسة ، ولا مراسيم ملكيّة أو رئاسيّة، فيعجب ذلك الرسول أشد العجب ، ويقول كلمة المشهورة: عدلت فأمنت فنمت ، الله أكبر ، هذه الأمة كانت تملك حكّاماً يسمعون لنصيحة الناصحين ، ينصرون المظلومين والمستضعفين، أما اليوم، فلا يستطيع أحدٌ أن يقول: كلمة الحق لحاكمه ، أو مسئوله الصغير ، أو يقول له: اتق الله في شعبك وأمتك يا ظالم ، أتوقع إن فعلِ ذلك ، أن يأمر بحبسه أو قتله ، أو أخذه وسجنه ، أو تَقْطِيعه: إرباً ، إرباً ، ليكون عبرة لغيره ، ولمن تسول له نفسه أن يقول كلمة الحق أمام أولئك الظالمين والمجرمين ، كذلك لا يستطيع أحدٌ من المسلمين ، أن يعبّرَ عن خلجات نفسه ويقول: بأنه مظلوم أمام حاكمه ، أو زبانيته المقربين ، لأن مصيره حتماً إلى المجهول ، بينما كان المسلمون آنذاك ، يسألون عن المظالم التي يرتكبها الحكّام والعمال والولاة ، بل وقف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أمام قاضيه شريح، في

قضيّة درع مع يهوديٍّ في الكوفة ، ادّعى عليه ظلماً وزوراً ، فيحكم شريح بالدرع لذلك اليهودي ، لأن الإمام عليّ ﷺ ، لم يستطع أن يأتي بالبينة، فبالله عليكم: هل رأيتم أو قرأتم في التاريخ أن حاكم دولة ، أو زعيم طائفة ، أو حتى عاقل حارة، يتنازل أن يقف مع خصمه سواء بسواء ، مجرد الجلوس فقط ، لا أن يحكم عليه ، كما هو الحال ، بالنسبة للإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وهو أمير المؤمنين يملك دولة من المحيط إلى الخليج ، وعليه لا نريد من حكّام المسلمين اليوم ، وزعمائهم ، أن يقفوا أمام العدالة كما وقف الإمام علي ﷺ أمام قاضيه شريح ، في مسألة يهوديّ متطفل ولا نريد منهم أن يُسألوا عن أموال الأمة التي أخذوها من حلال أو من حرام ، وإنما نريد منهم أن يحكموا بما أنزل الله ، وأن يردّوا المظالم إلى أهلها ، نريد منهم ، أن يقفوا مع المظلومين الذين لا يجدون ناصراً إلّا الله ، نريد منهم ، أن يقتصّوا للدماء التي أسيلت ، والأنفس التي أزهقت ، والأموال التي نهبت ، وإلّا فإن الظُلْمَ قد بلغ ذروته في بلاد المسلمين وديارهم ، من قبل حكامهم وقضاتهم ، فحذاري ، حذاري ، أن يتمادى أهل السيادة والسلطان ، على ظلم شعوبهم ، فإن هذه الشعوب مهما ضعفت واستكانت ، فلابد أن تأخذ يوماً بحقها ، وتستعيد كرامتها المسلوبة ، أما أولئك الظالمين لشعوبهم ، فإن مصيرهم إلى الهاوية في الدنيا والآخرة ، وإليكم مثلاً رواه الإمام القرطبي -رحمه الله - في «التذكرة» ، أن حاكماً ظالماً، كان مشهوراً بظلمه وجبروته وجرئته على الله وعلى عباده، ولمّا توفاه الله بعد أن أذلّه وأخزاه ، حفروا له قبراً ، وأرادوا أن يلحّدوه، فإذا بحيّة سوداء تخرج في ذلك القبر، فحفروا له آخر، وإذا بها تخرجُ مرة أخرى ، ثم حفروا له نحواً من ثلاثين قبراً ، وإذا بتلك الحيّة تتعرض لهم

في كل مرة يحفرون له ، ولمّا أعياهم هذا الأمر ، اضطروا آسفين أن يدفنوه مع تلك الحيّة ، لتكون جليسته وأنيسته في قبره ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

(إبراهيم:٤٢) .

ثانياً: من أنواع الظلم :

٢-ذلك الظلم الذي يمارسه أصحاب النفوذ والوجاهات: والذين يملكون زمام الأمور على عامة الناس من المسلمين ، فيمارس أولئك الأقوياء، أنواعاً شتى من الظلم ، تحت غطاء وظائفهم ومواقعهم الحساسة في كيان الأمة ، فيستغلون هذه الوظائف الإدارية والعسكرية ، في ظلم الآخرين والاستبداد بهم ، ولذا لا نستغرب أن نشاهد أولئك الظَلَمَةَ ، وهم يسرقون ويبطشون بإخوانهم الفقراء والمساكين ، مستندين في ذلك إلى وظائفهم ومراكزهم القياديّة في الأمة ، وحسبنا أن نشير إليهم بقول الرسول ﷺ (صنفان من أهل النار ، لم أرهما قط ، صنف معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس) فيأتي مثلاً: مسئولٌ كبير ، أو شيخٌ كبير ، والكبير هو الله ، فيأمر بحبس فلان أو علاّن من الناس ظلماً وزوراً ،وينسى أن الله سينتقم له، وسينتقم لأولئك المظلومين والمستضعفين ، الذين حُبسوا ، أو قُتلوا ، أو أخرجوا من ديارهم وأوطانهم بغير حق ، وسينتقم الله لتلك الدماء التي أسيلت ، ولتلك الأسر التي دمعت على أبنائها ، وفلذات أكبادها ، أما أولئك السفاحون والسفاكون ، الذين استغلوا وظائفهم ومناصبهم في ظلم الآخرين فإن مصيرهم: كفرعون وهامان وقارون ، وإليكم من التاريخ عبراً ، فهذا الإمام أحمد -رحمه الله - لمّا أُهينَ وعُذّبَ من قبل ابن أبي داؤد ، فقد كان هذا ، ابن أبي داؤد ، وزيراً للمأمون ،

فاستغل وظيفته الوزارية ، ومكانته من الخليفة المأمون ، فظلم الناس ، وظلم الإمام أحمد، وكان يعذّبه في السجن، فما كان من الإمام أحمد ، إلّا أن رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إنه ظلمني ، وما لي من ناصر إلّا إياك ، اللهم خذه واحبسه في جلده ، قيل: فما مات هذا ابن أبي داؤد ، حتى أصابه مرض الفالج ، فكان يخور كما يخور الثور ، ويقول: أصابتني دعوة الإمام أحمد، أصابتني دعوة الإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد ، ثم يقول: والله لو وقع ذباب على نصف جسمي، لكأنما وقعت عليه جبال الدنيا، أما النصف الآخر، فلو قُرّضَ بالمقاريض ما أحسست به، الله أكبر﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(إبراهيم:٤٢) .

وهذا ظالم آخر، استغل منصبه ووظيفته في ظلم الآخرين،حمزة البسيوني، الذي كان يعذّب المسلمين في مصر ، وهم يستغيثون الله ، فيقول لهم: أين إلهكم الذي تستغيثون ، والله لأضعنّه في الحديد ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وما هي إلّا أيام ، وإذ به يخرج في سيارته فرحاً مسروراً، مغروراً بقوته وجبروته ، ونسي أن الله له بالمرصاد ، وسينتقم لعباده المستضعفين ، الذين عذّبوا في سبيله ، وسينتقم لتلك الآهات والتنهدات التي خرجت وتخرج حرّى من صدورهم ، وإذا بسيارته ترتطم بشاحنة محمّلة بالحديد، فيدخل الحديد في جسمه وأحشائه ، فما يخرجونه منه إلّا قطعة ، قطعة ، فالله أكبر، إن الله ليملي ء للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(هود :١٠٢) .

كذلك من أنواع الظلم:

٣ - أن يظلم الأغنياء الفقراء: باستغلال حاجتهم وفقرهم ، وقد رأينا بعض الظالمين من يأخذ حقوق إخوانه المساكين بالقوة والإكراه ، لأنه ذو مال أو جاه أو سلطان ، ومن الظالمين من يستغل أجْرَ الفقراء العاملين عنده ، فلا يعطي الأجير حقه قبل أن يجفّ عرقه ، ومن الأغنياء الظالمين من يعتدي على الفقراء والمساكين ، بضربهم أو سبهم أو إهانتهم ، لأنهم فقراء لا يجدون ناصراً إلّا الله ، ومنهم من يستغل حاجة الفقراء ، ويطلب منهم أن يكونوا خدماً وحشماً وعبيداً له ، استغلالاً لحاجتهم وفقرهم ، واستخفافاً بعقولهم ، وكم سمعنا أن غنياً ظالماً ، فعل الفاحشة مع امرأة فقيرة ، استغلالاً لحاجتها وفقرها ، ثم أعطاها شيئاً زهيداً من المال .

كل هذه الوسائل الظالمة التي يستخدمها بعض الأغنياء في ظلم الفقراء، محرمة شرعاً في كتاب الله ، وفي سنة رسوله ﷺ ، والحقيقة أن الذي يتجرأ على ظلم الفقراء والمساكين هو إنسان حقير ، يحمل صفات دنيئة ، والواجب على الإنسان الذي يحمل صفات عالية ويحمل شهامة ومروءة ، فإنه يستحي أن يظلم فقيراً ، أو مسكيناً ، ولذلك كان الأعراب في الجاهلية، يتفاخرون بحماية الفقراء والمساكين ، وكان الرسول ﷺ يقول: شهدت في الجاهلية حلف الفضول ، ما أحب أن يكون لي به مثل حمر النعم، وذلك لأن هذا الحلف كان ينص على نصرة المظلوم ، وحماية المستجير ، وإيواء الغريب ، وإغاثة اللهفان ، أما اليوم ، فقد ضاعت كل هذه المبادئ والقيم، التي كان يتمتع بها أصحاب الجاهلية في جزيرة العرب ، وصار كثير من المسلمين اليوم ، كالوحوش الضارية في غابة سوداء ، نسأل الله لنا ولكم العافية ولجميع المسلمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

OBEIKAN.COM

وكذلك ينبغي على جميع المسلمين أن يقفوا صفاً واحداً في وجه الظلم والظالمين ، وأن يزيلوا عن أنفسهم وإخوانهم ، تلك الصور المأساوية ، التي نراها في واقع كثير من المسلمين اليوم ، حيث نرى :

٤- أخ يظلم أخاه ، وجار يظلم جاره: بأن يأخذ حقه ، أو يغتصب داره وأرضه، أو ينتهك عرضه ، بأن يعتدي عليه وعلى أولاده ، وهذا للأسف الشديد، ما نراه الآن يحصل بين المسلمين ، والجيرانُ على سبيل الخصوص، وفي كثير من الأحيان نرى ونسمع أن جاراً قتل جاره ، أو سفك دمه ، أو انتهك عرضه ، بينما رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول : (**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل: من يا رسول؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه**) أي شروره ، وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**) وذكروا للنبي ﷺ أن امرأة تصلي الكثير ، وتصوم الكثير ، ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال: هي في النار) رواه أحمد والبزار و ابن حبان .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ سُئلَ: أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك** ، قيل: ثم أي؟ قال: **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك** ، قيل: ثم أي؟ قال: **أن تزاني حليلة جارك**) وفي مسند الإمام أحمد ، قوله -عليه الصلاة والسلام-: (**لأن يزنِ الرجل بعشْرِ نسوة ، أيسر عليه من أن يزنِ بحليلة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات ، أَيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره**) ولهذا بلغت منزلة الجار في نظر الإسلام إلى درجة عالية ، حتى قال النبي ﷺ : (**ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورّثه**) إذًا: بعد هذا كله، وبعد هذه الوصايا ، كيف يجوز لمسلم أن يظلم جاره ، أو يأخذ ماله ، أو

يغتصب أرضه ، وقد توعده الرسول ﷺ بالنار ، ونفى عنه كمال الإيمان ، حين قال : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل: من يا رسول؟ ، قال: من لا يأمن جاره بوائقه) أي شروره .

كذلك من صور الظلم في هذا الزمان الغريب:

٥-ظلم الوارثين من إرثهم ونصيبهم: الذي كُتِبَ لهم من الله ، كما قال تعالى ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء:١٢) ، ولكن بعض المتنفذين من الوارثين ، كالأخ الأكبر ، أو الابن الأكبر ، أو صاحب النصيب الأكبر ، فإنهم قد يستأثرون لأنفسهم بنصيب الأسد ، ويتركون لغيرهم ما أكلته الذئاب ، ولهذا يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾(النساء:١٩) .

وعلى هذا الأساس نجد أن التشريعات العمليّة ، تستند إلى هذه الركيزة في تحقيق البناء الاجتماعي وتنظيم الأسرة ، وفي حماية الإناث من النساء الضعيفات ، وعليه فإن سورة النساء استهلت بآيات عظيمة تؤكد على هذه الحقوق ، وتخص الأيتام بالذكر على وجه الخصوص ، استناداً إلى قوله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (النساء:٢). بمعنى: إنه كان ذنباً عظيماً ، وذلك لأن بعض الورثة الظالمين قد يأخذون حقوق إخوانهم الأيتام ، بحجة أنهم صغار، أو أنه وصياً عليهم ، ولهذا كان الوعيد من الله شديدًا ، لهؤلاء الظالمين الآكلين لأموال اليتامى ، كما قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

(النساء:١٠) ، هذه الصورة المفزعة ، صورة النار ، وهي تشوي البطون ، ستكون للظالمين الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ، ولهذا يأمر الله سبحانه وتعالى الأوصياء على اليتامى أن يتقوا الله في أنفسهم ، وأن يردّوا إليهم أموالهم إذا بلغوا سن الرشد ، كما قال تعالى :﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾(النساء:٦) . بمعنى: لا يتجاوز أحداً في أكل حقوقهم ، بل يجب أن تُرَدَّ إليهم سالمة كاملة ، وأن يسأل الوصيُّ رزقه من الله ، عسى الله أن يغنيه من فضله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: إن الحديث عن الظلم حديث ذو شجون ، يحرك آمال المظلومين وعواطفهم ، رغم ما يجدون من لوعة وأسى ، وقهر واستبداد، ولكنهم مع ذلك يملكون أملاً كبيراً ، ووعداً أكيداً ، بأن الله فعال لما يريد، وأنه سينتقم لهم من أولئك الظالمين ولو بعد حين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (إبراهيم:٤٢) .

وعليه نقول: إن لله في خلقه شئون ، وله سُنن تجرى في المكر والماكرين ، وسُنن تجري في العدل والعادلين ، وسنن تجري في الظلم والظالمين ، ولذلك قيل: إن الظلم أصعب شيء يتحمله الإنسان ، وأسوء صفة يكتسبها هذا الإنسان ، ولو قُدّر لإنسان أن يحمل شيئاً من الجبال ، لكان بالإمكان ، أما الظلم ، فلا وربك لا يتعامل به إلا إنسان قد انسلخ من صفة الإنسان،

إلى صفة الحيوان بل هناك من الظالمين اليوم يفعلون ما لا تفعله كثير من البهائم والحيوان من الظلم والبغي والعدوان ، وأشنع الظلم أن يظلم الكبيرُ الصغيرَ ، والمسؤول الفقير ، الكبير الذي قد أمسك سلطةً أو قوةً أو جاهاً ، فيظلم من لا يملك سلطةً ولا جاهاً ولا قوةً ، ولهذا كان الخليفة العادل ، معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يقول: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرًا إلّا الله ، و مما يُذكر أن هارون الرشيد سجن أبا العتاهية ، فأرسل له رسالة من السجن يقول :

أما والله إن الظلم شئومٌ ∴ وما زال المسيُ هو الظلوم
إلى الدَّيان يوم الحشر نمضي ∴ وعند الله تجتمع الخصوم

فبكى هارون الرشيد ، حتى فحص برجله على الأرض ، ثم أمر بإخراجه من السجن .

وعليه يجب أن تعلموا أيها المسلمون: أن الظلم لا يفرق بين ديانة وديانة، ولا بين جماعة وجماعة، ولا بين مسلم وكافر، فهو محرم على كل أحد من الناس ، محرم على الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والذكر والأنثى، حتى الكافر محرم عليه الظلم،استجابة لأمر الله القائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(المائدة :٨) .

إذًا: فلا يترخص أحد من المسلمين في ظلم الآخرين ، سواء كانوا مؤمنين أو كافرين ، لأن الله -عز وجل- حرَّم ذلك على العباد جميعاً ،

دون تمييز بين دياناتهم وعقائدهم ، وناداهم باسم العبودية العامة ، التي يقوم فيها﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (مريم: ٩٣-٩٥) ولهذا جاء النداء في الحديث (يا عبادي) باسم هذه العبودية العامة (ياعبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) .

عاقبة الظالمين في مكة :

ولذا أيها المسلمون: يجب أن تكونوا على ثقة كاملة بأن الظالم مهما تمادى في ظلمه وبغيه على الناس ، فإن مصيره حتماً إلى الزوال والانتقام ، ولكن قد تشاهدون بعض الظالمين يُمْهَلُونَ إلى أجل مسمى ، أو إلى قدر معلوم، وإن حصل هذا ، فإن ذلك استدراجاً لهم من حيث لا يعلمون ، كما قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾(القلم : ٤٤-٤٥) وجاء في الحديث (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ -عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(هود : ١٠٢) المعنى: قد يمهله ولكن إلى حين ، قد يمهله سنة أو سنتين ، أو ثلاثاً ، أو أكثر، ولكن في النهاية يقول الله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(الأنفال:٣٠) وعليه فإن مصارع الظالمين تبقى عالقة في الأذهان ، ولا ينساها كثير من الناس ، حتى لو سجلها التاريخ في زمن الغابرين ، فما زلنا نذكر فرعون وهامان وقارون ،ونذكر أبا جهل ، فرعون هذه الأمة ، الذي كان أشد عداوة للإسلام والمسلمين في مكة ، لقد كان أبو جهل ظالماً جباراً ، وكان سبباً في ظلم كثير من الصحابة الكرام ، منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، الذي ناله

من ظلمه وشره أذىً كثيرًا ، حتى أنه ذات مرة وكزه في صدره ، واسال الدم من جسده ، ولما أراد الله له أن ينتصر من بعد ظلمه ، ظفر به صريعاً في بدر، فانتقم عبد الله ﷺ لنفسه ، وركب على صدره ، فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم ، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ : هل أخزاك الله يا عدو الله ، ثم احتزّ رأسه من مكانه ، ليرمي به في مزبلة التاريخ مع إخوانه الظالمين والمجرمين ، وثبت في السُنن، أن رسول الله ﷺ لما سمع بمقتله صلى ركعتين ، وقال : (هذا فرعون هذه الأمة أخزاه الله) وهكذا ينبغي للإنسان إذا سمع بهلاك الظالمين ، أن يخر ساجداً شكراً لله ، لأن الكافر والظالم والفاجر يستريح منه العباد والبلاد ، والشجر والدواب، ولهذا لما علم إبراهيم النخعي -رحمه الله- بموت الحجاج بن يوسف الثقفي سجد لله شكراً ، وبكى من شدة الفرح ، فأي مجرم هذا الذي يبكي الناس فرحاً بموته ، وأي تقي لله ومن أولياء الله يبكي الناس حزناً على موته وفراقه، شتان بين الفريقين ، شتان بين الرجلين ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦) ومن أولئك الظالمين الذين أسرُوا وقُتِلُوا في بدر أمية بن خلف ، الذي كان يعذب بلالاً ﷺ في مكة، فأراد الله -سبحانه وتعالى- لعباده المستضعفين ، الذين أوذوا وعُذبوا في سبيله، أن يقتصوا لأنفسهم من أولئك الظالمين والمجرمين ، فمكّن لهم من رقابهم يوم بدر ، ولذلك لما شاهد بلال بن رباح ﷺ ، ذلك المجرم الطاغية أُميّة بن خلف، الذي كان يعذبه في مكة، صرخ بأعلى صوته:رأس الكفر أُميّة بن خلف لا نجوت إن نجا ، فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : إنه أجيري يا بلال، وإني أمّنته فلا تمسه بسوء قال: كلا ، بل أقتله ، لا نجوت إن نجا، لا نجوت إن نجا ، عند ذلك أيقن عبد الرحمن بن عوف

ﷺ، أن أجيره في خطر، وأنه لا مفر من حمايته، فألقى بنفسه عليه، يريد سلامته، لكن السيوف تناوشته من تحته، حتى خرجت روحه إلى أسفل السافلين مع إخوانه الظالمين والمجرمين، أما أخوه أُبيٌّ بن خلف، ذلك المجرم الهالك، الذي كان يقسم بالله أنه سيقتل محمداً بيده، وكان يَلْقَى رسول الله ﷺ في مكة، ويقول: يا محمد، إن عندي (العوذ) فرساً أعلفه في كل يوم أقتلك عليه، فقال ﷺ: (بل أنا أقتلك إن شاء الله)، ولما كان يوم أحد أخذ النبي ﷺ حربة وطعنه بها حتى وقع على الأرض مغشياً عليه، فلحق بزمرة الظالمين والمجرمين، وإنه الوحيد الذي قتله رسول ﷺ بيده الكريمة، أما ذلك الشقي المجرم، عقبة بن أبي مُعيط، الذي تفنن في إيذاء رسول الله ﷺ وكان يضع سلا الجزور على عنقه الشريفة وهو ساجد خلف المقام، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وفي بدر أُخِذَ أسيراً مكبلاً بقيوده، وأمر النبي ﷺ بقتله، فقال: يا محمد، أتقتلني من بين قريش، قال: نعم، قال: ومن للصبية، قال: لهم النار، ثم قتلوه وذهبوا به إلى مزبلة التاريخ، مع إخوانه الظالمين والمجرمين، جزاءً لكفره وعناده، وعداوته لرسول الله ﷺ.

وفي أُحد برز إلى الساحة أشقى الظالمين عبد الله بن قمئة، الذي رمى رسول الله ﷺ في وجهه وهو يقول: خذها مني وأنا ابن قمئة، فقال عليه الصلاة والسلام، وهو يمسح الدم عن وجهه: (أقمأك الله) ولما عاد إلى قومه وأهله، خرج يتبع غنماً له، فنطحه تيس من تيوسه الأذكياء، ولم يزل ينطحه حتى أرداه قتيلاً، وقطّعه: قطعة، قطعة، قطعة، فأخزاه الله بظلمه، واستجاب دعوة رسوله ﷺ، ونتيجة لذلك ضاع دمه هدراً بين التيوس، ولهذا ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (القصص: ٤٠).

قصص الظالمين المعاصرة :

وأخيراً: لابد أن نستذكر معكم، بعض قصص الظالمين التي ذكرها بعض الكتاب المعاصرين في هذا الزمان، والتي منها : قصة ذلك الرجل، الذي كان يعمل صياداً، فاصطاد يوماً سمكة .....الخ، ويمكن الرجوع الى الموضوع السابق، لمعرفة المزيد من القصص المعاصرة، ونحن بدورنا لم نذكرها في هذا المقام، خشية الإطالة أو التكرار. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

OBEIKAN.COM